طريق السعادة

د/ عبدالرحمن الشيحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد ،،،
دقائق تقضيها في قراءة هذا الكتيب قد تحقق لك السعادة الدائمة فلا تتعجل في الحكم ولا في القراءة فما قرأ من تصفح ، بداية إن هذا العالم الذي نعيش فيه عالم جميل جدير بالتفكر والتأمل فهو بما فيه من مخلوقات ينبيء لأهل العقول النيرة والتفكير المنطقي والفطر السليمة عن وجود خالق له أبدعه أيما إبداع وذلك من خلال الترابط الدقيق فيما بين أجزائه سواءً العوالم المنظورة الكبري والتي تتمثل في الكواكب والمجرات ، أو العوالم الأخرى الغير منظورة المتناهية الصغر كالذرة وأجزائها إذ لو لم يكن هناك قوة خالقة ومقدرة وحافظة لها لتهاوى كل شي ولتناثر كل شيء ولكن كل يجري في مسار ووفق ضوابط ونظام مرسوم لها، كما بين ذلك الله تبارك وتعالى بقوله :" **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** "يس٤٠

وستستمر هذه العوالم في مسيرها إلى أن يأذن من خلقها إلى زوالها من خلال الخلل الذي سيحصل في نظامها الذي قدره الله لها لتبدأ الحياة الأخروية الأزلية، قال الله تعالى :" **إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت والبحار فجرت وإذا القبور بعثرت** "

سؤال يتبادر مباشرة إلى الذهن بعد التفكر في هذه العوالم ماهي الحكمة من خلق هذا كله ؟ هل خلقت عبثاً وسدى ؟ ومن ضمنها الإنسان المعني بهذا السؤال دون سواه الذي هو عجيب في حد ذاته سواءً تركيبه الخارجي حيث

يقول الله تعالى :" **يا أيها الإنسان مـاغرك بربـك الكـريم الذي خلقـك فسـواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** "

أو تركيبـه الداخـلي حيـث يقـول الله تعـالى :" **وَفِي أَنفُسِـكُمْ أَفَـلَا تُبْصِرُـونَ** " الذاريات٢١

من الأمور المتعارف عليه والمعلومة إن الإنسان في جميع شؤون حياته لا يصـنع إلا ما يريد من وراءه تحقيق حاجة أو حصول منفعـة -ولله المثـل الأعلى - والله تبارك وتعالى حاشاه أن يخلق شيئاً عبثاً وهو القائـل سـبحانه :" **أفحسـبتم أنمـا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لاأله إلا هو رب العرش العظيم** "

هذا العالم بأسره بأفلاكه وكواكبـه ونجومـه سـماءه وأرضـه خلقـه الله تبـارك وتعالى للتدبر والتفكر الذي يقود إلى السؤال المنطقي من أوجد هذا كله وأبدعـه فتتحرك الفطرة السليمة والعقل المدرك الواعي إلى معرفة الخالق الحـق سـبحانه وتعـالى، قـال الله تعـالى :" **الذيـن يـذكرون الله قيامـا وقعـودا وعلى جنـوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**" آل عمران ١٩١

هذا العالم من أوجده من العدم سينهيه لتبدأ الحياة الحقيقيـة الأبديـة، قـال الله تعالى :" **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّـجِلِّ لِلْكُتُـبِ كَمَـا بَـدَأْنَا أَوَّلَ خَلْـقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** " الأنبياء١٠٤

وأنت أيه الإنسان من ضمن هذه الكون سينطبق عليك ما ينطبق عليـه مـن الفناء ولكنك تختلف عنه بأنك ستبعث مرة أخرى وتحاسـب وتجـازى إمـا بجنة أو نار فمن أوجدك من قبل أن تك شيئاً قادر على إيجـادك وبعثـك بعـد

موتك وهو أهون عليه ، قال الله تعالى :" **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُـوَ أَهْوَنُ عَلَيْـهِ وَلَهُ الْمَثَـلُ الْأَعْلَى فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ** " الروم٢٧

أنظر حولك أراضي قفراء قاحلة جدباء موحلة تتوالي عليها الأيـام والشـهور لاترى فيها أثر للحياة فإذا سقط عليها المطر أنبتت من كل زوج يهيج لتعرف حقيقة قد تغيب عـن ذهنـك أو لا تخطـر على بالـك إنهـا البعـث وإمكانيـة حصوله ، قال الله تعالى :" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّـكَ تَـرَى الْأَرْضَ خَاشِـعَةً فَـإِذَا أَنزَلْنَـا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَـا لَمُحْـيِي الْمَـوْتَى إِنَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " فصلت٣٩

السعادة:

أتدري ماهي السعادة هي شعور وإحساس داخلي بالغبطة والسرور غير مرتبط بمؤثرات خارجية طارئة عليه مبني على الرضي بالعمل المبني على الاعتقاد فكل إنسان لابد أن يكون له هدف يسعى لتحقيقة وبقدر ما يبذل ويسعى لتحقيق هذا الهدف بقدر ما يحس بالسعادة ويشعر بها، ويعرف علماء النفس والتربية السعادة فيقولون :هي ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحية والبهجة وهذا الشعور السعيد يأتي نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات والحياة والمصير.

وأنت من خلال هذا التعريف ستتعرف على نفسك ومدى انطباق هذا التعريف عليك، والسعادة على ثلاثة أقسام :_
السعادة الأولى : السعادة الوهمية الزائفة الوقتية وهي الشعور بالسعادة نتيجة مؤثرات خارجية فكثير من الناس يتوهم أن السعادة تكون بتعاطي المخدرات والمسكرات، وهذه الفئة من الناس تقبل على المخدرات والمسكرات للهروب من هموم الدنيا ومشاكلها باحثين عن السعادة لاعتقادهم أن السعادة في نسيان واقعهم المرير ولكنهم في النهاية يجدون أنفسهم كالمستجير من الرمضاء بالنار فلا يتحصلون من ورائها إلا الشقاء والدمار، وذلك لكون المخدرات والمسكرات والمهدئات تجلب سعادة مصطنعة متكلفة تنتهي وتزول بانتهاء المؤثر بل قد يتفاقم الأمر ويعظم الشعور بعدم السعادة بعد زوال المؤثر مما يدفعه لتعاطي أكثر لهذه المخدارت والمهدئات حتى يحصل على نشوة وسعادة أكثر كما يظن ويجد نفسه في النهاية أسير هذه المخدرات غير قادر على تركها مسببة له أمراض نفسية أعظم مما كان يتعاطاها لأجل نسيانها إضافة إلى ألأمراض الجسمية بل قد تجره إلى عالم الجريمة.

السعادة الثانية : سعادة تحقيق الأهداف وهي سعادة مرتبطة بتحقيق هدف مرغوب أو مطلوب وهذه السعادة كسابقتها من حيث زاول السعادة بعد تحقيق الهدف ولكنها أقل ضراراً لكونها لا ترتبط بمؤثرات خارجية – مخدرات مسكرات - تقود إلى أمراض نفسية أو جسمية، ثم يبدأ السؤال المحير لكثير من الناس بعد تحقيق أهدافهم ثم ماذا ؟! والسؤال هذه هو بداية التعب النفسي !!.

السعادة الثالثة : السعادة الحقيقية وهي السعادة الدائمة والملازمة للإنسان في جميع أحواله في حال الرضا والغضب في حال الصحة والمرض في حال الغنى والفقر في حال حصول الإنسان على مطلوبة في هذه الدنيا أو فواته، هذه هي السعادة الحقيقية الناتجة عن الرضا المطلق المبني على ثوابت إيمانية تؤدي إلى اطمئنان القلب وسكينة الروح .

هل تريد السعادة الحقيقية ؟؟

سؤال قد يكون غريباً والجواب عنه معروف قبل النطق به نعم أبحث وأسعى لها، لكن كل له أسلوبه في تحصيل هذه السعادة والطريقة الجالبة لها فمنهم من يرى السعادة في جمع المال والثراء ومنهم من يرى السعادة في الرئاسة والمنصب ومنهم من يرى السعادة في الجاه والشهرة ومنهم من يراها في كثرة الأصدقاء والقدرة على التأثير على الغير ومنهم ومنهم ولكن لو سألت كل من تحقق له مقصوده ومطلبه من المكاسب المادية أو المعنوية هل وجدت السعادة الحقيقية لقال لا لماذا ؟ أقول لك لماذا لأن السعادة الحقيقية هي في اطمئنان النفس المستمر وراحة القلب الدائمة وهذا كله لن يتحقق ولن تستطيع الحصول عليه ولو كان لك مثل الأرض ذهباً إلا من خلال مسبباته والتي سنتكلم عنها لاحقاً، يقول المثل: تستطيع أن تشتري السرير ولكنك لاتستطيع أن تشتري النوم.

هل انتهى كل شيئ تحقق لكل فرد مناه ومبتغاه من جمع للمال وحصول على المنصب والجاه والشهرة والسلطان ثم ماذا هذا السؤال هو ما يجعل كل شخص غير متدين أو غير مقتنع بدينه الذي يعتنقه بسبب ما فيه مما يصادم العلم الصحيح وينافي الفطرة السليمة يعيش عيشة غير سعيده

متوترة لأن من يعتقد أنه انتهي كل شيئ سيلجاء لجالبات السعادة الوهمية كما قلنا سابقاً كالمخدرات والمسكرات والمهدئات لنسيان الواقع وللحصول على السعادة الموهومة والسكينة المزيفة ولكن هيهات إنها سعادة وسكينة مؤقتة تنتهي بانتهاء مفعول المخدر والمسكر والمهدي مما يجعلة يجد في تعاطيه مرة أخرى لينسى واقعه فيصبح إنساناً غير منتج بل عباً على مجتمعه ونسي المسكين أن هذا الإحساس بعدم السعادة لايملئه إلا الشعور الديني المتمثل في إعتناق دين صحيح من خلاله يحقق ذاته ويحدد مسيره ويعرف من خلاله مصيره.

إن الحصول على السعادة الحقيقية ميسور على من يسره الله له ومتاح لكل إنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه أتدري أين تجدها ولا تتفاجأ من الجواب وأعط نفسك فرصة للتجربة والدخول في غمارها ولكن بشرط الاقتناع بما أقدمت عليه والاعتقاد الصادق بما آمنت به فما دام الإنسان يبحث عن السعادة الحقيقية فليضحي من أجل تحقيقها بكل شيء وليعطي نفسه فرصة التغيير لما يعتقد أنه الأفضل ولما يحقق له هدفه الذي يسعى له، إنه الدخول في الإسلام أعرف أنك تفاجئت أو ربما ضحكت وأنا لا ألومك!!! ولكن الرهان قائم بيني وبينك بشرط أن تأخذ الإسلام من منابعه الأصلية الصحيحة بتجرد من عواطفك وتعصباتك الدينية وبقناعات أنك من خلاله تريد تحقيق السعادة الحقيقية، أتدري لماذا يحقق لك الإسلام السعادة الحقيقية ؟

أقول لك لماذا يحقق لك الإسلام السعادة الحقيقة مر في تعريف علماء النفس للسعادة أنها ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحية والبهجة نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات والحياة والمصير.

والإسلام حقق للمسلم هذه الأمور جميعها أما خيرية الذات فقد قال الله تعالى:" إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً " الأحزاب٣٥

وأما خيرية الحياة ، فيقول الله تعالى :" كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " آل عمران١١٠

وأما خيرية المصير ، فيقول الله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولا" الكهف١٠٧

وما دامت السعادة الحقيقية تتمثل بالرضاء الذي يقود إلى الاستقرار النفسي- والاطمئنان الروحي نتيجة الخيريات الثالثة السابقة فلن تستطيع الحصول عليها إلا في اعتناق دين يوازن لك بين المادة والروح فلا يغلب أحدهما على الآخر.

إن جميع الأنظمة والملل والنحل التي سوق لها وأخذ بتطبيقها وجربت كرد فعل مناهض للإسلام والصد عنه منذ ظهوره أخذت تتهاوى الواحدة تلو

الأخرى ولعل آخرها ما حصل للإتحاد السوفييتي السابق والنظام الرأس مالي الحالي الذي يرى في نفسه المسيطر على العالم في طريقه لأن يتهاوى كما تهاوى سابقه وقد بدأت تظهر بوادر هذا التهاوي وما ذلك إلا لأن هذه الأنظمة مبنية على أسس ناقصة وأراء شخصية إنسانية قاصرة لاتتعدى نظرتها أرنبة أنفها هذا عند إحسان الظن بها، فينطبق عليهم المثل القائل : ذكرت شيئاً وغابت عنك أشياء .

ولكن الغالب الأعم أنها وضعت لتحقيق مطامع وجني مكاسب وتفضيل جنس على جنس فهي إما إفراط في تقديس الفرد على حساب الجماعة أو إفراط في تقديس الجماعة على حساب الفرد أو إفراط في تقديم المادة على الروح أو العكس ، والإسلام وسط بين هذا كله استمع إلى هذا الكلام الجميل يقول الله تعالى :"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً "البقرة١٤٣

وأرعي سمعك لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حيث قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنه :" يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟" قلت : بلى يا رسول الله قال:" فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا" رواه البخاري

فالروح شيء يغيب عن تفكير الماديين الذين لا يرون الحياة إلا مادة فهمهم الجسد وبناؤه واشباع غرائزه من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب والسعي لعلاجه إذا اعتل فقط، ونسيان الروح وحاجاتها فهل هذا يجلب السعادة؟ الجواب بالطبع لا لأنه لو كان يجلبها لما أنتحر كثير من الناس

الذين تحصلوا على كل متاع الدنيا الزائلة مـن مـال وجـاه ومنصـب وشـهرة، كرستينا أوناسيس الأبنة الوحيدة للمليونير المشهور أوناسـيس الذي يملـك المليارات ومن خلالها يستطيع الحصول على كل متع الدنيا، سألها الصـحفيون في حفل أقيم لها في فرنسا: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم. أنـا أغـنى امـرأة ولكني أتعس وأشقى امرأة!، اسأل نفسك لماذا تقول هذا الكلام ؟ أنـا أجيـب لأنها نسيت الروح واحتياجاتهـا فمرضـت هـذه الـروح فأتعبتهـا علمـاً أن علاجها بسيط جداً وبدون مقابل مادي والحصول عليه مقابل تغيير معتقـد أو اعتناق معتقد ولكن ليس أي معتقد بل معتقد صحيح، وأيضاً لما كـثرة نسبة الانتحار في الدول المتقدمـة ذات المعيشـة المترفـة والدخـل المرتفـع في أوربا وبخاصة الدول الإسكندنافية التي تعتبر أغنى الدول في العالم سـواء على مستوى الدولة أو على مستوى دخل الفرد ومع ذلـك فـهي تمثـل أعلى نسـب الانتحار فالسويد مثلا هي أغنى دولة من حيث دخـل الفـرد، ولكنهـا أعلى دولة في نسب الانتحار!! بينما يلاحظ أن الدول الإسلامية مـع فقـر أكثرهـا تقل نسب الإنتحار إن لم نقل تكاد تنعدم !!!

يقول (F. Filweas)[1] : هناك فراغ روحي كبير في الغرب ، لم يسـتطع أي مبدأ من المباديئ ولا أية عقيدة من العقائد أن تملأه وتحقق السـعادة للإنسـان هناك ، فـرغم الـثراء المـادي ومايسـمى بالرخـاء الإقتصـادي ... وتحقيـق كافـة الرغبات المادية للشعوب ، فإن الإنسـان الغـربي لايـزال يحـس بتفاهـة حياتـه ويتساءل : لماذا أعيش ؟ وإلى أين أسـير ؟ ولمـاذا ؟ ولاأحـد يقـدم له حـتى الأن

[1] ضابط بحرية بريطاني ، شارك في الحرب العالمية الأولى والثانية ، نشأ في بيئة نصرانية وتأصلت فيه التقاليد المسيحية ، ومع ذلك أسلم بعد أن اطلع على القرآن الكريم وعدداً من المؤلفات الإسلامية وذلك عام ١٩٢٤م ، من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الين خليل

الإجابة عن هذه الأسئلة ، ومـادرى المسـكين أن دواءه في الديـن القـويم الذي لايعرف عنه إلا الشبهات ، ولكن بداية النور قد بدأت تشقشق والصـبح قـد بدأ يسفر ، بدخول جماعات ولو قليلة من الغربيين في الإسلام ، وبـدأ الإنسـان الغربي يرى بأم عينه رجالاً ونساءً يطبقون الإسلام ويعيشـون بـه ، وفي كل يـوم يدخل بعضهم في الدين الحق إنها البداية ...أهـ

فالروح يجب إشباعها كما يشبع الجسد فـإذا لـم تشـبع مرضـت ومرضـها القلق والهم وعدم الرضاء والشعور بالتعاسة وإشباعها هو زاد الإيمان بـالله ووجوده والبعث وإمكانية حصوله واليوم الآخر والجـزاء والحسـاب وتحقـق وقوعه وأداء العبادات التي أمـر الله بهـا والتخلـق بالفضـائل الـتي تسـمو بالروح فهي من الغذاء الروحي المرتبط بالإيمان، وبالإيمـان تسـلم الـروح من القلق الذي يؤثر بالمقابل على الجسد فيمرض ، قـال الله تعـالى :" الذيـن آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب"[٢]

وهذا الشعور والإحساس فعلاً ما يحس به المسـلمين الصـادقين اسـمع مـا يقوله ابن تيمية أحد أئمة الإسلام بعد أن أوذي وطرد وسجن وعذب وهدد بالقتل وهو يحس بهذه السـعادة الحقيقيـة الـتي لايحـس بهـا إلا مـن ذاق حلاوة الإيمان وهو في قلعة دمشق مسجون : ما يصنع أعدائي بي أنا جنـتي وبستاني في صدري أنى رحلت فهي معي لا تفارقني أنا حبسي خلـوة وقـتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة .

مسجون يقول هذا الكلام أليس هذا عجيبـاً أنظـر كيـف يعمـل الإيمـان الصادق فهو في جميع أحواله سـعيد، إن الإسـلام يحقـق السـعادة الروحيـة

---

[٢] الرعد آية:٢٨

والإطمأنان النفسي لكل من اعتنقه وآمن صادقاً بـه فـترى المسـلم نتيجـة العقيدة الإسلامية سعيد كل السعادة في جميع أحـواله في حالـة الصـحة أو المرض في حالة الغنى أو الفقر في حالة الأمن أو الخوف، يقـول الله تعـالى :" الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون أولئـك علـيهم صلوات من ربهم ورحمة " البقرة ١٥٦-١٥٧

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد، إلا للمؤمن، إن أصابته سراء، شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر، فكان خيرا له " رواه مسلم

فتعاليم الإسلام وتوجيهات رضاء وصبر ينسيك همومك وينقلك مـن دائـرة اليأس والقنوط إلى دائرة التفأل وحسن الظن ، يقـول الله تعـالى في الحـديث القدسي :" أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء ..."

وهنا نقطة ينبغي التنبيه عليها فالإسلام لايأمر أتباعه بالرهبانية والانقطاع عن الدنيا ولكنه يطوع هذه الدنيا بمافيها لتحقيق السعادة الحقيقية ، فمن كان ذا سلطان فليطوع سلطانه لله ولنشر دينه وتحقيق سعادة رعيتـه ، يقـول صـلى الله عليه وسلم :" كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيتـه والمـرأة في بيـت زوجهـا راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسـؤول عـن رعيته " رواه البخاري

ومن كان ذا منصب وجاه فليطوع منصبه وجاهـه لله ولنشرـ دينـه وقضـاء حوائج إخوانه من المسلمين يقول الله تعالى :" مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن

لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَـا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً "النساء٨٥

ومن كان ذا مال فليبذله في سبيل الله ولخدمة إخوانه وقضاء حوائجهم فهذه السعادة في جمع المال الإنفاق وليس القبض ، يقول الله تعـالى :" وفي أمـوالهم حق معلوم للسائل والمحروم "

ويقول صلى الله عليه وسلم مبيناً مصير المال :" يقول بن آدم مالي مـالي قـال وهل لك يا بن آدم من مالـك إلا مـا أكلـت فأفنيـت أو لبسـت فأبليـت أو تصدقت فأمضيت " رواه مسلم

وهذا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـدوة المسـلمين الذي ينـبغي على كل مسلم أن يجعل سيرته منهاجاً يسير عليه في حياته يحدث عنه أبو ذر فيقول : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة فاسـتقبلنا أحـد فقال:" يا أبا ذر " قلت: لبيك يا رسول الله قال:" ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينـار إلا شـيئا أرصـده لديـن إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا "عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم مشى ثم قال:" إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامـة إلا مـن قـال هكـذا وهكذا وهكذا " عن يمينه وعن شماله ومـن خلفـه "وقليـل مـا هـم..." رواه البخاري

إن المنهج الذي رسمه الإسلام لمن يعتنقه منهج رباني يحقق له السعادة الحقيقية على المدى القريب والبعيد وذلك من خلال توجيهاته المتمثلة في أوامره ونواهيه وهذه الأوامر والنواهي لا يقصد بها التضييق أو تقييد الحريات وإنما تحقيق السعادة له وذلك من خلال تعريفه بمكانته في هذا الكون وعلاقاته بما فيه فهذه الأوامر والنواهي منها مصالح متحققة إما حالية أو مستقبلية ولتوضع هذه الأوامر والنواهي تحت المجهر لمن أراد التثبت وليرى بنفسه هل هي لمصلحة أم لا ؟ خذ مثلاً:-

 الربا، الذي قال الله فيه :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " البقرة ٢٧٨؟

لا يخفى على كل ذي بصيرة أن الربا أكل لأموال الناس بالباطل وهو من أبشع صور الجشع لأنه إستغلال لحاجات الناس أيضاً من الناحية الإقتصادية فيه تكتل الأموال في يد فئة معينة من الناس، ونشؤ الطبقية في المجتمع وكثير من غير المسلمين بدأو يحذرون منه يقول : .

- الزنا والذي يعيش المجتمع الغربي وكل مجتمع فشى فيه الزنى نتائجه السيئة من إنتشار للأمراض والأوبئة والانحلال الخلقي الذي بدأ يقلق مضاجع العقلاء فيهم ، يقول الله تعالى :" {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً }الإسراء٣٢

يقول صلى الله عليه وسلم :" ...لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ..." رواه ابن ماجه

□ شرب الخمر والذي أثبت الطب الحديث تأثيره المدمر على الصحة العامة ناهيك عن أثاره الإجتماعية والإقتصادية ، يقول الله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّه وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ " المائدة٩٠-٩١

□ أكل لحم الخنزير فلقد أثبت الطب الحديث الأثر السيئ على متناول لحمه لما ينقله من كثير من الأمراض يقول الله تعالى :" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّه بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " المائدة٣

يقول الدكتور/ فيليب تومز خبير أمراض الدم بلندن - وهو غير مسلم ــ أن الخنزير ينقل صفاته لكل من يتناول لحمه، ويسبب مع الوقت أمراضا عقلية وبدنية وبالأخص أمراضا تناسلية مدمرة

□ الحدود، يقول الله تعالى :" ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون "[٣]

---

[٣] البقرة ١٧٩

وصدق الله العظيم إن في تطبيق الحدود حياة للناس وحفاظـاً على المجتمـع والسياسة والاقتصاد ، فابالحدود تحفظ الأنفس وتحفظ الأعـراض وتحفـظ الأموال ، فكل نظام إذا لم يكن له قوة تسـانده وتدعمـه وتراقـب تنظيمـه ترك وأهمل تطبيقه، فقاطع الإشارة مثلاً لـو عـرف أنـه لـن يعاقـب قطـع الإشارة ؟ والسارق لوعرف أنه لن يعاقب لكرر سرقته واستمر فيهـا وقـس على هذا، يقول صلى الله عليه وسلم:" إن الله ينزع بالسـلطان مـا لا يـنزع بالقرآن " أو كما قال عليه الصلاة السلام .

لذلك لابد من القوة التنفيذية التي تساند النظـام وتحـافظ عليـه وتضـمن تطبيقه، فإذا لم توجد هذه القوة الداعمة للنظام أصبح مثالايات قد لاتطبق ولانتشرت الفوضى وعم الفساد، لذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بيد والسيف بيد فقال صلى الله عليه وسـلم :" بعثـت بهـذا لأقـوم بهذا من حاد عن هذا " أو كما قال عليه الصلاة والسلام

علماً أن تطبيق الجدود ليس شيئاً مستحدثاً بل هو من تعاليم الأديـان السـابقة يقول الله تعالى في القرآن مبيناً عن بعض تعاليم التوراة :" وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِـالأَنفِ وَالأُذُنَ بِـالأُذُنِ وَالسِّـنَّ بِالسِّـنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّـمْ يَحْكُـم بِمَـا أنـزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"المائدة٤٥

ليسأل كل نفسه ولينظر هل العقوبات التي وضـعها الإسـلام أجـدى وأنجـح في قطع دابر الجريمة أو تقليلها أم العقوبات التي وضعها وشرعها البشرـ الـتي لا تزيد الجريمة إلا انتشاراً فهي قوانين وضعت أمامها حق المعتـدي وقللـت مـن حق المعتدى عليه كمـا أنهـا لاتـردع عـن فعـل الجريمـة لكونهـا في الغالـب

عقوبات خفيفة يمكن التلاعب بها، فلم يثبت نظام إجتماعي سواءً قديم أو حديث فعاليته لقطع دابر الجريمة أو تقليلها كما فعل الإسلام بتطبيقه نظام الحدود.

فالسعادة يحققها الإسلام لمعتنقيه من خلال أركان إيمانية أساسية هي :-

الركن الأول : الإيمان بالله ووحدانيته فمن آمن بالله ووحدانيته هدي إلى طريق السعادة فأطمأن قلبه وسكنت نفسه، يقول الله تعالى:" الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ "الرعد٢٨

فإذا عرف الإنسان عظمة هذا الإله الذي له ملك كل شيء والقادر على كل شي والذي ليس كمثله شيء قرت نفسه وسكنت روحه ، يقول الله تعالى :" اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " البقرة٢٥٥

وذلك لكون الإيمان بالله ووجوده يحقق للإنسان سعادة داخلية مبعثها معرفته بوجود الركن القوي الذي ينزل إليه حاجاته ويلجأ إليه وقت الشدائد والملمات، فيكثر من دعائه، قال الله تعالى :" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " البقرة١٨٦

وإنه من الشقاء عدم الإيمان بوجود الله الخالق القادر على كل شيء، لأن من لايؤمن بوجود الله سيعيش ولاشك في صراع داخلي عنيف مع نفسه

التي بفطرتها تؤمن بوجود الله وعقله المتنكب عن الفطرة الصحيحة، يقول الله تعالى :" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ "الطور٣٥

علماً أن الإيمان بالله لابد أن يكون مرتبطاً بوحدانيتة وعدم الإشراك به فمن أشرك مع الله غيره لم يفده إيمانه بالله ولم ينتفع به، يقول الله تعالى :" إِنَّ اللَّه لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً" النساء٤٨

وذلك لكون الإشراك مع الله غيره تنقيص له والناقص لايستحق العبادة فكيف يعبد من هو في حاجة لتكميل ، يقول الله تعالى :" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " الأنبياء٢٢

فالله هو الغني القائم بذاته المستغني عن من سواه والخلق كلهم فقراء محتاجون إليه، يقول الله تعالى :" مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ " المؤمنون٩١

فمن ثمار الإيمان بالله:-

- تحرير نفس المؤمن من سيطرة الغير فمتى عرف وأيقن أن الأمر كله لله وبيده وأنه ليس لبشر مهما علت منزلته أو كبر شأنه أن يمنع ما أراد الله أو يعطي ما منع تحررت نفسه من العبودية لغير الله فينطلق غير مقيد في تحقيق العبودية لله ساعياً لرضى ربه غير مكترث بما سواه، يقول الله تعالى :" {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }الرعد١٦

- تحرير نفس المؤمن من الخوف إلا من الله وحده، فالخوف من غير الله جالب للشقاء منغص على الإنسان عيشه لأن الشيطان يبدأ بالتلاعب به ويخوفه من كل شيء فيجعله في ضيق وحرج، يقول الله تعالى:" إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" آل عمران:١٧٥.
- بعث روح الشجاعة والإقدام في النفوس فمن آمن بالله وأنه المحيي المميت وأن الأمر كله له اطمأنت نفسه وسكنت وهذا ما جعل المسلمين يبذلون أرواحهم رخيصة في الجهاد أليس هذا نابع عن سعادة داخلية يحسون بها تدفعهم لبذلها في سبيل من يحبون ؟ إنها سعادة مرتبطة بالآخرة، يقول الله تعالى :" وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً " .
- التوجه الدائم لله منبع الخير ومصدره فينزل به حوائجه ويتضرع ويتذلل بين يديه ويتوكل عليه ، يقول الله تعالى:" لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " الزمر٦٣

أما غير المؤمن بالله فإنه يعيش في شقاء وتعاسة لأنه يتخبط في ظلام الجهل والكفر وعدم الإيمان فلا مصدر يلجأ إليه ويتوكل عليه،وصدق الله العظيم:" :" وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ "الأنعام: من الآية١٢٥

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة وهم من عالم الغيب لا يمكن معرفتهم إلا عن طريق الرسل المبلغين عن الله سبحانه وتعالى لهم أعمال كلفهم الله بها، وعن طريقهم تصل رسالة السماء الجالبة للسعادة الحقيقية للأرض عن طريق الرسل، والمكلف بمهمة تبليغ الرسالات للرسل جبريل عليه السلام والرسل بدورهم يبلغونها للبشر، يقول الله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً " النساء١٣٦

الركن الثالث : الإيمان بالكتب التي أنزلت من الله وهي المنهاج الذي يسير عليها المؤمن في حياته ويستسقي منها زاده الروحي المتمثل في الأعمال الصالحة والعبادات سواءً الروحية أو الفعلية، فعن طريق العمل بهذه الكتب يحصل الاستقرار الاجتماعي والأمن النفسي والاقتصادي والسياسي، يقول الله تعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً " النحل من الآية ٩٧

حياة طيبة في جميع المجالات فالأعمال الصالحة هي الزاد والغذاء الروحي الجالب للسعادة والطارد للهُمَّ والحزن يقول الله تعالى:" مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ "المائدة: من الآية٦٩

ولقد كان لتوجيهات الإسلام التي تربي المسلم على مكارم الأخلاق الأثر الكبير في جلب السعادة له وإبعاده عن المنغصات التي يعيشها اللادينيين

والكثير ممن لم تقدم له ديانته الاستقرار النفسي والأمن الروحي بسبب ما فيها من اضطراب وتناقض ، فمن هذه التوجيهات التي أمر بها المسلم :-

- حب الله ورسوله فإن حب الله ورسوله دافع للمسلم للبذل في سبيل هذا الحب جميع ما يملك حتى لو كانت روحه التي بين جانبيه فهو في سعادة لايضاهيها سعادة ما دام يسعى لرضى محبوبه، ففي هذه الدنيا تجد المحب يبذل كل ما في وسعه لكسب رضاء محبوبه ويجد لذة وحلاوة في تحقيق رغباته وطلباته فما بالك إذا كانت هذه المحبة لله ذو الجلال والإكرام وصفات الكمال ورسوله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق خلقاً وخُلقاً ، يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً حب المؤمنين الحقيقي له :" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ " البقرة١٦٥

ولقد كانت هذه المحبة واقعاً فعلياً يطبقها الصحابة رضي الله عنهم، فهذا الصحابي الجـليل خبيب بن عدي - رضي الله عنـه - عنـدمـا أسره المشركون، وقبل أن يقتلوه، سألوه: هل لك حاجة قبل أن تموت؟ فطلب منهم أن يمهلوه حتى يصلي ركعتين، فأمهلوه فصلى ركعتين - وكان أول من سن الركعتين قبل القتل، وبعد الصلاة قال: والله لولا أني خشيت أن تظنوا أني جزع من القتل، لأطلت الصلاة..فلما رفعوه ليصلبوه ويقطعوه، سألوه:

أتحب أن محمدا مكانك وأنك بين أهلك؟ فقال: والله إني لا أحب أن يصاب محمد بشوكة بين أهله وأنا في مكاني هذا !!

وإن الشقي من قدم هواه ورغباته على محبة الله ومرضاته ، يقول الله تعالى:" قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " التوبة٢٤

- الحب في الله ورسوله، فإن من أحب في الله ولله بذل وأعطى وضحى فأصبحت المصالح مشتركة فيما بينهم لايجمعهم مطامع دنيوية تزول هذه المحبة بزوالها بل هي محبة باقية دائمة لطلب رضى الله فيشعر المسلم بالسعادة لمعرفته أن غيره يحبه لله وليس استغلال لتحقيق مصالح دنيويه، قال الله تعالى :" وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "الحشر٩

ويقول صلى الله عليه وسلم :" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يلقى في النار "

بل إن تحقيق هذه المحبة من وسائل دفع العناء والمشقة يوم الفصل بين الناس ، يقول صلى الله عليه وسلم :" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" رواه البخاري

- العبودية لله فالسعادة والعزة تكمن في كون المسلم عبداً لله وليس عبداً لشهواته ورغباته فيأطر نفسه على الحق أطراً فيتبع ما أمرالله به وينتهي عما نهى الله عنه، فبعمله هذا يحس بالسعادة الحقيقية لأنه تغلب على النفس وشهواتها والشيطان وخطراته ووسوسته، فتعاليم الإسلام تجعل وقت المسلم وماله وجهده وحياته كلها لله فليس هناط وقت لصف الوقت في تفاكير وهموم لاطائل من ورائها، يقول الله تعالى :"قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " الأنعام١٦٢

والعبودية لله ليست خاصة للبشر فقط بل للخلق جميعاً بما فيهم الأنبياء والرسل والملائكة، يقول الله تعالى :" لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً " النساء١٧٢

بل العالم كله ينطبق عليه الخضوع والعبوديه لله مما يدلل على عظمة هذا الخالق المستحق للعبادة، يقول الله تعالى :" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ

وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّـهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً " الإسراء٤٤

فمن أعرض عن عبادة الله وتنكر لها فلن يجد إلا الشقاء والمعيشة النكـدة لأنه بلا هدف يسعى لتحقيقه ولن يشعر بالسعادة التي يحس بها من حقـق العبودية لله، يقول الله تعالى :" وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" طـه:١٢٤.

فمن لم يكن عبداً لله فسيكون عبداً للشيطان ، يقـول الله تعـالى :" وَمَـنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " الزخرف:٣٦.

وهذا الشيطان لن يقوده إلا إلى الشقاء والتعاسة كما توعد بذلك، يقول الله تعالى :" قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ إلا عبادك منهم المخلصين" الحجر٣٩

إن عبادة لله سعادة داخلية لا يحس بها إلا من حقق العبودية لله اسـمع إلى قول أحد المسلمين الذين شعروا بهذه السعادة نتيجة تحقيـق العبوديـة لله : لو يعلم الملوك وأبنـاء الملـوك مـا نحـن فيـه مـن السـعادة لجالدونـا عليهـا بالسيوف.

- ترسيخ مفهوم السعادة الحقيقية الأبدية في نفس المسلم فالسعادة الحقيقية الأبدية في الآخرة وليست في الدنيا لمن وفقه الله ودخل الجنة وهذا ما يجعل تطلعات المسلم علوية وليست دونية ،قال الله تعالى:" وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ" هود:١٠٨.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر " رواه مسلم

وهنا قد يرد سؤال في الذهن فيقال كيف يكون هذا ونحن نشاهد كثير من الكفار يعيشون في ضنك من العيش وكثير من المسلمين يعيشون في رغد من العيش ؟ ولعلي أذكر هنا قصة ابن حجر العسقلاني رحمه الله رئيس القضاة في مصر وفيها رد عجيب على هذا التساؤل، فقد خرج يوما في أبهته وزينته فمر برجل يهودي في حالة رثة تدل على الفقر والحاجة، فقال اليهودي للقاضي : قف. فوقف ابن حجر. فقال له اليهودي: كيف تفسر قول رسولكم: " الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر " وها أنت تراني في حالة رثة وأنا كافر، وأنت في نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟! فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة، لما ينتظرك في الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافرا - وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلني الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوي يعد سجنا بالمقارنة مع النعيم الذي ينتظرني في الجنات، فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فكانت هذه الكلمات سبباً في دخوله للإسلام .

وليهون الإسلام على المسلم أمر هذه الدنيا ويبين حقارتها ليبعد المسلم عن كل ما يكدره من مصائبها وأكدارها، أخبر صلى الله عليه وسلم عنها بقوله في الحديث الذي رواه سهل بن سعد فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال:" أترون هذه هينة على

صاحبها فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا" رواه ابن ماجة

- بيان أن الرسل والأنبياء وهم صفوة الخلق وأحبهم لله لم تصف لهم الدنيا ولم تخلوا حياتهم من المنغصات والمكدرات، فمنهم من قتل ومنهم من عذب وأوذي ومنهم من أخرج من بلده ومنهم من كذب ورمي بالسحر والجنون فإذا كان ذلك فغيرهم من البشر العاديين من باب أولى، يقول الله حكاية عن نوح عليه السلام :"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ "العنكبوت١٤

ويقول حكاية عن إبراهيم عليه السلام :" **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** " العنكبوت٢٤

ويقول الله تعالى حكاية عن موسى ، :"وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " غافر٢٦

ويقول الله تعالى حكاية عن شعيب :" **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** " الأعراف٨٨

ويقول الله تعالى حكاية عن صالح ، :"قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ " هود٦٢

ويقول الله تعالى حكاية عن لوط:" فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " النمل٥٦

ويقول الله تعالى حكاية عن عيسى:" وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً " النساء١٥٧

ويقول حكاية عن خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم :" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ " الأنعام٣٣

- تحديد الهدف الأسمى في حياة المسلم، حيث جعل الإسلام هدف المسلم في هذه الدنيا الوصول لرضي الله والجنة وهذا الهدف لايمكن تحقيقة إلا بعد الموت، فتجده في سعي دائم لا يعرف الكلل ولا الملل إلى أن يموت لأنه يعرف أن هدفه سيتحقق هناك فهو في شغل عن التفكير في هذه الدنيا ومشاكلها وأكدارها غير مكترث لما يفوت تحقيقه فيها ، منشغل فيما يقربه من الله والدار الآخرة أما غير المؤمنين فهم يطمعون إلى تحقيق أهداف دنيوية ويجدون نوعاً من السعادة في السعي لتحقيقها ، ولكن سعادتهم تنتهي بتحقيق

أهدافهم والحصول عليها ثم ماذا بعد تحقيق الهدف؟ فمـتى حصـل الإنسان على هدفه بقي عنـده فـراغ يوقعـه في قلـق نفسيـ وعـدم استقرار روحي لمـن لا إيمـان له ، وهـذا النـوع مـن النـاس الذيـن لاهدف لهم إلا تحقيق شهواتهم والحصول على ملذاتهم الدنيوية مـن خلال إشباع بطونهم وفروجهم ذمهم الله تارك وتعالى فقال " إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَـامُ وَالنَّـارُ مَثْـوًى لَّهُمْ " محمد١٢

وهؤلاء وإن تحصلوا على الشهادات وتفوقوا في مجال العلوم والتقنية فإن لـم يقدهم هذا إلى معرفة الله وطاعته فلا خير ولا نفع في هذا كله ، يقـول الله تعالى واصفاً حالهم:" أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْـمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُـونَ إِنْ هُـمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً "الفرقان٤٤

فلا تنظر إلى من هلك كيف هلك ولكن أنظر إلى من نجى كيـف نـجى ، يقول الله تعالى:" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِـنِّ وَالإِنـسِ لَهُـمْ قُلُـوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْـمَعُونَ بِهَـا أُوْلَـــئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ " الأعراف١٧٩

وليس معنى هذا الكلام الزهد في الدنيا وتـرك السـعي لطلـب الـرزق فيهـا بحيث يصبح المسلم عالة على الغير، فالله سبحانه وتعالى أمر عباده بالضرب في الأرض لكسب الرزق وجعله مطلباً شرعياً، يقول الله تعـالى :" هُـوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِـهِ وَإِلَيْـهِ النُّشُـورُ "الملك١٥

بل عد الإسلام السعي لطلب الدنيا إذا كان الهدف منـه كـف المـرء نفسـه ومن يعول عن الحاجة للناس وليبذله في سبيل الخير ليرفع درجتـه ومنزلتـه عند الله من الأمور المحمودة، يقول الله تعالى :" الَّذِيـنَ يُنفِقُـونَ أَمْـوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْـرُهُمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ "البقرة٢٦٢

إن المطلوب أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبـك ، يقـول صـلى الله عليـه وسلم :" اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله " رواه البخاري

بل إن الأماني للحصول على الدنيا يؤجر عليها العبد إذا كان هدفه البذل في طرق الخير وسبله، يقول صلى الله عليه وسلم :" إنما الدنيا لأربعة نفر عبـد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيـه حقـاً فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النيـة يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهـو بنيتـه فأجرهمـا سـواءً " رواه الترمذي

- معرفة حقيقة الدنيا، فلقد بين الإسلام للمسلم أن هذه الدنيا متـاع ، يقول الله تعالى :" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَـاء وَالْبَنِـينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَـوَّمَةِ وَالأَنْعَـامِ وَالْحَرْثِ ذَلِـكَ مَتَـاعُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَاللّهُ عِنـدَهُ حُسْـنُ الْمَـآبِ }آل عمران١٤

وبين له قصرها وقصر المكث فيها، يقول الله تعالى :" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَـاثُرٌ فِي الْأَمْـوَالِ وَالْأَوْلَادِ

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ "الحديد٢٠

وبين له أنها محطة من محطات الوصول للهدف النهائي وهو الآخرة، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب لما دخل عليه وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا ! فقال:" مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها" رواه أحمد

وبين له أنها دار أكدار وشقاء فإن صفت يوماً كدرت أياماً وإن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً فصفائها الدائم أمر مستحيل بل إن كدرها وتنغيصها أكثر ، فهي دار شقاء لمن لم يعرف حقيقتها وانخدع بها وركن إليها ، يقول الله تعالى :"لقد خلقنا الإنسان في كبد " البلد ٤

فلا ينبغي للعبد أن يركن إليها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في وصيته لإبن عمر فقال :" كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " رواه البخاري الملوك والخلفاء وهم من يعتقد أنهم في نعيم وسعادة اسمع ما يقوله عبد الرحمن الناصر من خلفاء بني أمية المشهورين حكم أكثر من خمسين سنة وستة أشهر دانت له الرقاب والبلاد، كان مشهوراً بالعمران وتشييد المباني والقصور والمعالم والآثار، وجد مكتوب بخط يده بعد موته : أن الأيام التي صفت لهذا الخليفة من دون تكدير هي يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، ويوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، فحددت فوجدت أربعة عشر يوماً، فانظر لتعلم أن كلٌ في

شقاء وكل في كبد ونكد !

ولقد وصفها أحد الشعراء مبيناً أنها لاتدوم على حال وأن طبيعتها التقلب وعدم الإستقرار:

وهذه الدنيا لاتبقي على أحد **** ولا يدوم على حال لها شأن

هي الأمور كما شاهدتها دول **** من سره زمن سائته أزمان

ويقول التهامي في رثاء إبنه الذي توفي مبيناً حقيقة الدنيا :

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

ويقول أحد الشعراء موضحاً أن ما تشكو أنت منه يشكو منه غيرك :

كل من تلقاه يشكو دهره ....ليت شعري هذه الدنيا لمن

فمتى عرف المسلم هذا زاده حرصاً على التزود للآخرة وعدم التعلق بالدنيا والركون لنعيمها الزائل فلا حزن على فوات شيء من ملذاتها أو جزع لحصول مصيبة من مصائبها، فكيف يأسى ويحزن على نعيم أن لم يزل اليوم زال بالغد، يقول الله تعالى:"كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ" آل عمران ١٨٥

- الأمر بمصاحبة الأخيار والبعد عن رفقاء السوء والأشرار فلا أحد ينكر ما للقرين على قرينه من الأثر وقد قيل في المثل (الصاحب ساحب) فصاحبك وقرينك إما أن يسحبك ويجرك للخير أو العكس يسحبك ويجرك للسعادة أو الشقاء، ولقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء بأروع

مثل فقال صلى الله عليه وسلم " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"[٤]

فالجليس الصالح عون لك بعد الله في الوقوف معك وقت الشدائد والملمات وتسليتك عند همومك وغمومك وتفريج كربك عند حاجتك له مما يحسسك بالإطماءنان والراحة لوجود ركن تعتمد عليه لمواجهة مصاعب هذه الحياة بعد الله، بخلاف جليس السوء حيث يكون أول المتخلين عنك الخاذلين لك وقت الحاجة والملمات والشدائد مما يزيد بؤسك وتعاستك وشقاءك.

- الأمر بترك المعاصي والبعد عن الآثام، فارتكاب الذنوب والآثام مما يجلب الشقاء للإنسان ويحول بينه وبين السعادة لكونه سينصرف عن عبادة الله إلى إتباع نفسه الأمارة بالسوء هواها والغالب أن النفس إن لم تردع بالحق انصرفت إلى الباطل، يقول الله تعالى :" كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ" المطففين١٤

ويقول صلى الله عليه وسلم:" إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه" كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " سنن ابن ماجة

[٤] صحيح البخاري ج٥ ص٢١٠٤ رقم الحديث ٥٢١٤

وليبعد المسلم عن ارتكاب الذنوب والمعاصي بين صلى الله عليه وسلم شؤم المعصية عليه فقال:" إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " رواه ابن حبان

يقول سقراط: إن المجرم دائما أشقى من ضحيته، وإن من يكون مجرما ولم يعاقب على جرمه، يكون من أشقى الناس.أهـ وذلك بإحساسه الداخلي الذي يؤنبه في جميع أوقاته بسبب ما ارتكب من جرم.

ولقد كان هذا الإحساس متقداً في نفوس المسلمين الصادقين ، فهذا الصحابي عمرو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني سرقت جملا لبني فلان فطهرني فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا افتقدنا جملا لنا فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقطعت يده قال ثعلبة: أنا أنظر إليه حين وقعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهرني منك أردت أن تدخلي جسدي النار.

- التفكر في من مضي من الأمم وأخذ العبرة والعظة من ذلك لمعرفة أن الدنيا مهما طالت بأهلها ومهما بلغ بأهلها التقدم والرقي والإزدهار فإن مصير ذلك إلى زوال أو دمار أو هلاك يصيبهم بسبب ذنوبهم وظلمهم فلا تحزن، قال الله تعالى :" أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ "الأنعام٦

ويقول الله تعالى :" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا

وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " الروم٩

ويقول الله تعالى :" وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ "العنكبوت٣٨

ويقول الله تعالى :" وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ " القصص٥٨

فإذا عرف المسلم أن كل هذه الدنيا إلى زوال رضي وسلم فأراح واستراح، يقول الله تعالى :" وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال" إبراهيم٤٤-٤٥

- النظر لمن هو في الدون في أمور الدنيا، فإن الإنسان يعيش في نعم وخير يتقلب فيها ولا يحس بها ولكن يعرفها ويراها من فقدها، فإن كان عندك مالاً وأنت في حاجة لأكثر فهناك من لا يملك وإن كنت مريضاً وتستطيع التحرك فهناك المريض الذي لايستطيع التحرك وإن كان لك ولد واحد وتريد المزيد فهناك من يتمنى أن يدفع ماله كله ويسمع كلمة (بابا)، يقول صلى الله عليه وسلم " انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم" متفق عليه

فإذا نظرت إلى من هو دونك في أمور الدنيا اطمأننت وعرفت فضل الله عليك وأن هناك من يتمنى ما أنت فيه، يونس ابن عبيد جاءه رجل يشكو ضيق

حاله ، فقال له يونس : أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم ؟ قال الرجل : لا !، قال : فبيدك مائة ألف؟، قال : لا !، قال : فبرجلك مائة ألف ؟، قال : لا !، ثم ذكر نعم الله عليه وقال : أرى عنك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة !!!.

أما في أمور الآخرة فانظر إلى من هو أعلى منك، لتدرك تقصيرك وتفريطك، وذلك لكون الجنة طبقات ودرجات فلا تقنع إلا بالفردوس الأعلى من الجنة .

- القناعة وهي غنى القلب ورضاه بقضاء الله وكف نفسه عما في أيدي الناس والتسليم لإرادة الله، والتوجيهات القرآنية و النبوية لها الأثر الكبير في غرس القناعة في صدور المسلمين وما ذلك إلا ليعيشوا حياة هانئة مطمئنة مستقرة بعيدة عن الغل والحسد والتباغظ الناتج عن عدم القناعة والرضا بما قسم الله للعبد ، وهذا مشاهد فالقنوع أهنأ الناس بالاً وأطيبهم عيشاً يقول الله تعالى :" ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه " طه ١٣١

ويقول صلى الله عليه وسلم :" قد أفلح من اسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله بما آتاه " رواه مسلم

ولكون حب الدنيا والتزود منها من طباع البشر كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :" لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب " صحيح البخاري

كان للتوجية النبوي أثر كبير على المسلم بالتقليل من حب الدنيا والقناعة منها باليسير فقال صلى الله عليه وسلم:" من أصبح منكم آمناً في سربه

معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " رواه الترمذي

ولو تفكر الإنسان لوجد أن هذا كل ما يحتاجة المرء في يومه أما غده فعلمه لله فأنت لاتعلم هل تعيش للغد أم لا مالك الذي في حسابك لاتدري هل يبقى للغد أم لا إحتمالات كثيرة، يقول الله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " لقمان٣٤

- التسليم لأمر لله والتوكل عليه فهو المتصرف في خلقه المعطي لمن يشاء المانع لما يشاء المعز لمن يشاء المذل لمن يشاء مقسم الأرزاق وباعثها، يقول الله تعالى:" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "آل عمران٢٦

فإذا علم الإنسان أن الأرزاق مقدرة ومقسومة والمرء في بطن أمه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :" إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرْسِل إليه الملك فينخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقيٌ أو سعيد ، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الحنة فيدخلها "رواه البخاري

وأن كل إنسان سيأخذ ما كتبه الله له من هـذه الدنيـا سـواءً مـن الـرزق أو الحياة اطمأن ورضي ، يقول صلى الله عليه وسـلم :" نفـث روح القـدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتسـتوعب رزقهـا فأجملوا في الطلب ولا يحملنكم إستبطاء الـرزق أن تطلبـوه بمعصـية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته"

- الرضاء بما قسم الله وعدم التسـخط حـتى لـوكان في أمـور يعتقد أنها غير مرغوبة يقول الله تعالى :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَـذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُـنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَـلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً" النساء١٩

فلربما كان الخير فيما كرهت والشر فيما أحببت وأنت لاتعلـم ، يقـول الله تعالى :" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ "البقرة٢١٦

- معرفة حقيقة التفاضل والتفـاوت بـين البشر في جميـع أمـورهم ، فالتفاوت من سنن الله في هذا الكون التي ليس للإنسان القدرة على تغييرها فمتى عرف المسلم بهذا التفاوت بين الناس لحكمة يعلمهـا الله رضي واطمئن وخلت نفسه من الحسـد والحقـد على مـن فضـل عليه، يقول الله تعالى :"وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَـكُمْ عَلَى بَعْـضٍ فِي الْـرِّزْقِ

فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّه يَجْحَدُونَ " النحل٧١

يقول الله تعالى"انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً " الإسراء٢١

- عدم تمني ما مع الغير والنظر لما في أيديهم إذا كان الهدف من هذا التمنى الدنيا، يقول الله تعالى :" قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" سبأ٣٩

ولما كان التمني من معوقات القناعة جاء التوجيه للمسلمين بالكف عن تمني ما مع الغير ليعيش المسلم هانيء البال فقال الله تعالى :" وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً " النساء٣٢

فبدل أن يكون هم المسلم التمني والنظر إلى ما مع الغير والانسياق وراء رغبات النفس جاء التوجيه للمسلم بالنظر لنفسه ومحاسبتها وترك ما سواها، يقول صلى الله عليه وسلم :" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله " رواه الترمذي

- التحذير من الحسد والغيرة والحقد والغل: وهذه أدواء خطيرة على الإنسان طاردة للسعادة جالبة للشقاوة، فمن لم يقنع بما قسم الله له امتدت عينه إلى ما أنعم الله به على غيره فجره للحسد الذي يجر للحقد والغل الدافع للانتقام والحاسد والحاقد يهلك نفسه

ويشقيها قبل محسوده، قال الله تعالى :" أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً " النساء٥٤

ولقد كان الكبر الناتج عن الحسد أول ذنب عصي الله به، يقول الله تعالى حكاية عن إبليس عندما خلق الله آدم وأمر ملائكته بالسجود له فاستكبر ابليس ورفض السجود حسداً :" قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً" الإسراء٦٢

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها أمته لإجتناب هذه الأدواء الخطيرة المانعة للسعادة :" لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " رواه مسلم

وليعالج الإسلام هذه الأدواء الخطيرة ويروض المسلم على حب الخير للغير جاء التوجيه القرآني الكريم للمسلم بطلب تمني الخير لأخوانه، ويقول الله تعالى :" وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ "الحشر١٠

وليجعل هذا التمنى بالخير لإخوانه نابع من قلب صادق جعل للداعي نصيباً من دعائه لهم ، يقول صلى الله عليه وسلم :" من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل " رواه مسلم

- ترك الكبر والتعالي على الناس، فالمتكبر غير سعيد لكون الناس يحتقرونه لما يرون منه من تغطرس وتعالي عليهم وغمط لحقوقهم فهو يكره الناس والناس يكرهونه فما ضنك بعيشة من هذه حاله، يقول الله تعالى:" الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ"غافر٣٥

ويقول صلى الله عليه وسلم :" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " فقال رجل : يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً ، قال :" إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس "رواه مسلم

- النهي عن البخل وذمه لأنه مذهب للسعادة جالب للشقاء وذلك لكون البخيل في قلق وهم للحفاظ على ماله والخوف عليه وحرصه الزائد عليه الذي يمنعه من التمتع به وصرفه في أو جه الخير، يقول الله تعالى :"وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" آل عمران١٨٠

والبخيل في عزلة من الناس نظراً لكرههم له وعدم قبولهم لتصرفاته وكرهه للناس ايضاً لظنه أن الناس سيأخذون ماله، يقول صلى الله عليه وسلم:"السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار

والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل " رواه الترمذي

وليحث الإسلام المسلم على الإنفاق وعدم البخل بين أن البخل وتكديس المال وعدم إنفاقه الإنفاق المشروع مذهب للثروات ، يقول صلى الله عليه وسلم :" ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللّهُمَّ أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللّهُمَّ أعطي ممسكاً تلفاً" رواه البخاري

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلحق بالمجتمع من عواقب وخيمة تجر للشقاء والبؤس عندما يستشري في أهله داء البخل والشح، فقال صلى الله عليه وسلم :" أتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم " رواه مسلم

وليكره الإسلام هذه الصفة الذميمة في نفس المسلم جعلها من الصفات المنقصة في إيمان المتصف بها ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا" سنن النسائي

- الأمر باالصبر مع الرضا وعدم الجزع والتسخط على جميع ما يحصل للمسلم والصبر ضرورة حياتية قبل أن يكون فريضة دينية فالآمال لاتتحقق إلا بالصبر :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" آل عمران٢٠٠

ولكون هذه االدنيا دار ابتلا وإمتحان كان الصبر من ضروريات هذه الحياة كما بين ذلك ربنا تبارك وتعالى بقوله :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ " البقرة١٥٥

وحث مع الصبر على الغفران والعفو عمن أخطأ في حقك وأساء إليك وذلك لتصفى النفوس من الشحناء والبعضاء، يقول الله تعالى :" وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ "الشورى٤٣

ليكون الصبر مطلباً لكل مسلم يسعى جاهداً للتحلي به أوجب الله سبحانه وتعالى محبته للصابرين، يقول الله تعالى :"وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ "

ووعد الله من اتصف بهذه الصفة بالثواب الكثير الغير منقطع يقول الله تعالى :" إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ "

ويقول صلى الله عليه وسلم :" وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر" رواه البخاري ومسلم

ولقد بين الإسلام أن بعد الصبر على الضيق الفرج وبعد الصبر على الحزن الفرح فدوام الحال من المحال يقول الله تعالى :" إن مع العسر يسرا "

يقول أحد الشعراء واصفاً حاله مع الشدة:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ***** فرجت وكنت أظنها لا تفرج

والصبر ثلاثة أنواع :

الأول : صبر على طاعات الله وأوامره ، يقول الله تعالى :" سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ "الرعد٢٤

الثاني : صبر عن الشهوات والملذات المحرمة، يقول الله تعالى :" وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً " الكهف٢٨

الثالث : صبر على أقدار الله، يقول تعالى :" مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " التغابن١١

وأرشد الإسلام المسلم للصبرعلى قضاء الله وقدره بأن يقول ما بينه له رسوله صلى الله عليه وسلم ليبتعد به عن التسخط والجزع وفتح الباب أمام التحسر والندم:" ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللّهُمَّ أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها " رواه أحمد

- ترك الغضب وعدم الانفعال، وذلك لكون الغضب قد يقود إلى نتائج لا تحمد عقباها يصبح المرء نادماً عليها طوال حياته فتحجب عنه السعادة وتوقعه في التعاسة، يقول الله تعالى ممتدحاً من يتصف بهذه الصفة:" وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ " الشورى٣٧ .

فمن استطاع أن يملك غضبه فهو أقدر على تحمل مصاعب الحياة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب " متفق عليه.

فالإنسان الذي يملك نفسه ويتحكم بها يحس بسعادته لكونه حقق إنتصار على ذاته التي قد تقوده إلى عمل متهور لا تحمد عقباه.

- الحث على العفو عن الإساءة وهذا العمل مما يحبب النفوس بعضها لبعض ويذهب الأحقاد والأضغان ، يقول الله تعالى :"الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "آل عمران١٣٤

بل أمر بما هو أعلى من هذا كله وهي مقابلة الإساءة بالإحسان ليحقق أعلى درجات الانتصار على النفس فتتطهر النفوس من درن البغضاء فتعم السعادة والإخاء، يقول اله تعالى :"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " فصلت٣٤

- الأمر بالفأل وعدم التشاؤم والتطير، يقول صلى الله عليه وسلم :"لا طيرة وخيرها الفأل" قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال:" الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" رواه البخاري

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين يعجبه الفأل، ويكره التشاؤم. كما روى ذلك البخاري

- النهي عن سوء الظن وعن التجسس ، فإن من أساء الظن بالناس عاش في قلق وهم وعدم استقرار لخوفه وترقبه الإساءة من كل أحد، ومن تجسس عليهم أصبح مكروهاً ومنبوذاً منهم ، يقول الله سبحانه وتعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ "الحجرات ١٢-١٣.

ويقول صلى الله عليه وسلم :"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطبن الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك ولا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بينها وخالتها ولا تصوم المرأة وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه فما تصدقت به مما يكسب عليها فإن له نصف أجرة ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ إناء صاحبتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها" رواه البيهقي

وأمر المسلم بحمل تصرفات أخيه على محمل الخير ليطهر القلوب من الضغائن، :" ....وهو يجد لها مخرجاً

- النظر في الحاضر وترك التفكير في المستقبل ونسيان الماضي ، يقول الله تعالى :" أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ "الزمر٥٨- ٥٦

يقول أحد الأدباء القداما :ما فات مات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها.، وما ذلك إلا أن التفكير في الماضي لن يرد ما فات والتفكير المستقبل يعيقك عن العمل في الحاضر فركز على ما أنت فيه.

- الحث على العطاء والبذل فإن السعادة في العطاء وليس الأخذ واسأل نفسك بعد عمل طيب تقوم به من إطعام جائع أو كسوة عاري أو تفريج كربة...ألخ من أعمال الخير يانفس بماذا تحسين ؟، يقول الله تعالى :"وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "النور٢٢

ولكن حذر الإسلام المسلم أن لايتبع هذا العطاء والبذل بالمن لأنه يحبط الأجر ويذهب السعادة وذلك ليكون المُعطى قرير العين ، يقول الله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " البقرة٢٦٤

فإن لم يكن لديك ماتنفق وتبذل فعليك بلين الكلام وطلاقة الوجه فهو خير من بذل ونفقة يتبعها منٌ وأذى، يقول الله تعالى :" قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ " البقرة٢٦٣

فالمسلم ينبغي أن يكون في جميع أموره معطاء بناءً على توجيهات دينه التي تأمره :-

- ببذل الحب للغير الذي يدفعه لفعل كل ما يحبونه من قول أو فعل والبعد عن كل ما يؤذيهم من الأقوال والأفعال المنضبطة بضوابط الشرع، يقول الله تعالى :"وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"الحشر٩

ويقول صلى الله عليه وسلم :" يا يزيد بن أسد أتحب الجنة؟" قلت: نعم قال:" فأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك " المستدرك على الصحيحين

- ❖ بذل النصيحة للناس وذلك بدلا لتهم على الخير وتحذيرهم من الشر ليعيشوا في سعادة، يقول الله تعالى:" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " آل عمران١٠٤

ويقول صلى الله عليه وسلم :" ألا إن الدين النصيحة ألا إن الدين النصيحة ألا إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه ابن حبان

- ❖ بذل المال للمحتاجين والعطاء في أوجه الخير، يقول الله تعالى :" وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ "الرعد٢٢
- ❖ بذل الجاه بالشفاعة الحسنة للناس لقضاء حوائجهم، يقول الله تعالى :" مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً "النساء٨٥

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال:" اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء " صحيح البخاري

❖ بذل الإحسان والمعروف إلى الناس بشتى صوره، يقول صلى الله عليه وسلم :" أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيضاً ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملاء الله قلبه رضاً يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل " **رواه الطبراني وأبو الدنيا وصححه الألباني صحيح الجامع**

وهو في سبيل حب الخير للغير في سعي حثيث لتبليغ رسالة الإسلام للغير ليجدوا السعادة التي يجدها ويحسوا بالراحة التي يشعر بها ولينقذهم من الكفر الذي يقودهم إلى النار ، فهذا أحد الصحابة رضي الله عنه يقول لرستم ملك الروم عندما سأله عن سبب مقدمهم إلى بلاده قال: جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، يقول الله تعالى :" وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله" الأنفال ٣٩

والعطاء ليس مقتصراً على المسلم فقط فالدنيا للمسلم وسيلة لتحقيق هدف وليست هدفاً في حد ذاتها، يقول أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل شيئا على الإسلام إلا أعطاه قال فأتاه رجل فسأله

فأمر له بشياء كثيرة بين جبلين من شياء الصدقة قال فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة. صحيح ابن خزيمة ويقول صلى الله عليه وسلم :" المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" صحيح مسلم

الركن الرابع : الإيمان برسل الله، فهم القدوة التي يحتذى بها والمثل الذي يقتدى به فلا يمكن معرفة الله والوصول للسعادة الحقيقية إلا عن طريقهم يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد الجزء ٥صفحه٧ : فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل وما يُظن من حصول صحة القلب بدون إتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفس البهيمة الشهوانية، وصحتها وقوتها ، وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فإنه من الأموات وعلى نوره فإنه منغمس في بحار الظلمات أهـ

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر فمتى آمن الإنسان باليوم الآخر والبعث والجزاء والحساب إطمأنت نفسه وسكنت روحه ليقينه بأن ما أخذ

منه في هذه الدنيا سيرد عليه في الآخرة وأن من ظلمه أوإعتدى عليه سيقتص له منه ولكن ليس بأمور مادية ولكن بالحسنات والسيئات حيث الحياة الحقيقية يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه " أتدرون من المفلس ؟! قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع، فقال صلى الله عليه وسلم: " المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وزكاة، وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار " [٥]

ولتعلم عدل الله سبحانه وتعالى فليس القضاء للبشر فقط بل على جميع المخلوقات،يقول صلى الله عليه وسلم :"لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها" رواه ابن حبان

ومتى آمن باليوم الآخر عرف أن ما فاته في هذه الدنيا من صحة أو مال وسعة رزق سيحصل على مالا يخطر على باله من النعيم إن دخل الجنة، يقول الله تعالى عن نعيمهم فيها:" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " السجدة١٧

ويقول صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين " رواه البخاري

وليهون على المسلم مصائبه وما قد يلاقيه في هذه الدنيا من أكدار ومنغصات بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا كله سينسى بدخول

---

[٥] صحيح مسلم ج٤ ص١٩٩٧ رقم الحديث ٢٥٨١

الجنة ، يقول صلى الله عليه وسلم :" يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا بن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط" رواه مسلم

فمتى عرف المسلم هذا هانت عليه الدنيا وكان أبعد ما يكون من التعرض لغيره بالأذى أو أكل حقوقهم بل قد يترك ما اشتبه عليه مخافة الوقع في المحذور، ويكون هذا الإيمان دافعاً لأن يكون في سعي مستمر للنجاة في ذلك اليوم والحرص على عدم ظلم غيره.

الركن السادس : الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وهو العلم أن ما أصاب لم يكن ليخطئ وما أخطأ لم يكن ليصيب، فمن آمن بالله لزمه أن يؤمن بقضائه وقدره ويرضى بما قسمه له، يقول الله تعالى :" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لاتأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور" الحديد ٢٢-٢٣

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن

لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا واعلم أن مع الصبر النصر واعلم أن مع الكرب الفرج واعلم أن مع العسر اليسر " المستدرك على الصحيحين

فالإيمان بالقضاء والقدر يورث بعد تعاطي الأسباب الرضاء الموصل للراحة النفسية والإطمأنان القلبي الموصل إلى السرور وعدم الحزن، يقول صلى الله عليه وسلم :" المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم

أي لا تتحسر على ما فات وانظر إلى الأمام واترك النظر للخلف فلو تأملت كثيراً من الأمراض المنتشرة بين الناس في عصرنا الحاضر لوجدت أن الغالب منها نتيجة الهم والحزن الناتج عن فقد موجود أوعدم حصول مطلوب فبالإيمان الصادق بالقضاء والقدر تتغلب على جميع أحزانك وهمومك وغمومك بإذن الله وذلك بجعلك كما قلنا تتطلع إلى المستقبل والعمل من أجله وترك الماضي ونسيانه والتحسر عليه .

فإذا تطلعنا إلى واقع الإنسان وجدنا أن قلقه وخوفه من أمور عالجها الإسلام فهو إما :-

١. الخوف على الرزق وهو ما يقوم عليه حياة الإنسان وبدونه يموت من المأكل أو المشرب ،يقول الله تعالى :" وفي السماء رزقكم وما توعدون "

وصدق الله العظيم ففي السماء رزق الناس وذلك بما يسقط من الأمطار التي بنزولها يعيش الناس فتنبت الزرع ويشرب الناس ، وفي السماء مايوعدون من الحياة الأبدية في جنة أو نار ، فالله سبحانه وتعالى تكفل بالرزق لجميع المخلوقات بما فيها الإنسان ، يقول الله تعالى :" وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين " [٦]

ومهما يبلغ بالمخلوق الضعف فرزقه المقسوم له مساق له ويقول الله تعالى :" وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "العنكبوت٦٠

ولكنه تكفل لمن سعى في طلبه وعمل على تحصيله يقول الله تعالى مخاطباً مريم عليها السلام وهي في أشد الحاجة وأضعف حالة وهي حالة المخاض والولادة ، :" فهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً "

فلم يبعث ربنا تبارك وتعالى لها رزقها ويطلب منها أن تأخذه بل طلب منها فعل السبب الذي يحقق لها رزقها بأن تهز النخلة التي بجانبها لتسقط عليه رطباً جنياً .

بل حتى الطيور والحيوانات العجماوات وغيرها من المخلوقات لم تمكث في أو كارها بل هيأ الله لها أسباب طلب الرزق فهي في سعي دائم للكسب والعيش ، يقول صلى الله عليه وسلم :"لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " رواه ابن ماجه

---

[٦] هود ٦

فرسول الله صلى الله عليه وسلم بين أنها تغدوا أي تذهب في طلب الرزق وهي جائعة وتروح بطاناً تعود لأوكارها وأعشاشها وقد ملئت بطونها وحصلت على رزقها .

فالقضية ليست قضية تواكل كما قد يتبادر لمن يعرف حقيقة هذا الإيمان بل سعي وطلب حثيث وعمل بالأسباب والإسلام لم يدعو للقعود عن العمل اتكالاً على الله بل طلب العمل ثم الاتكال على الله، يقول صلى الله عليه وسلم :" لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " رواه البخاري

فلا بد في جميع الأمورك من عمل السبب ثم الاتكال على الله إذ لوكان الأمر توكل بغير فعل الأسباب لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله: أرسل ناقتي وأتوكل ؟. قال:" اعقلها وتوكل" صحيح ابن حبان

فأنت اسعى وأطلب وتحصل على ماقدر الله لك ومما يدلل على ذلك أن الرزق ليس بالقوة أو العلم والشطارة أنك تجد كثيراً ممن معهم الشهادات العالية والإمكانيات يعملون لدى أناس دونهم في التحصيل العلمي والمهارات .

فأرزاق المخلوقات بيد الله تعالى وليست بيد غيره فلا تخف وكن مطمأناً على رزقك ، يقول الله تعالى :"قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً "الإسراء١٠٠

٢. الخوف من المكدرات كالأمراض والمصائب...ألخ كل إنسان يخاف الأمراض ويخشى المصائب فمهما بلغ بالإنسان الهم والحزن والأسى فلن يغير من الأمر شيئاً بل قد يزيد الأمر سوءاً والمرض

إستفحالاً ، يقول الله تعالى :"وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّه بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " يونس١٠٧

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" رواه مسلم

ولقد كانت توجيهاته صلى الله عليه وسلم للمسلمين على تقبل المصائب ومعالجتها واضحاً ، فيقول صلى الله عليه وسلم لابنته التي أرسلت إليه تدعوه وتخبره أن صبيا لها أو ابنا لها في الموت فقال للرسول:" ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب " فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها قال: فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة ففاضت عيناه فقال: له سعد ما هذا يا رسول الله قال:" هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" صحيح مسلم

والصبر مطلوب بعد تعاطي الأسباب فمن مرض فليبحث عن مصادر العلاج ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وقد انزل له شفاء إلا السام والهرم" رواه ابن حبان

فكل داء في هذا العالم له دواء كما بين ذلك رسـول الله صـلى الله عليه وسلم بقوله:" إن الله لم ينزل داء إلا نزل معه دواء جهله من جهله وعلمه من علمه " رواه ابن حبان

٣. الخوف من الموت، هو حقيقة وأمر واقع كما أننـا متيقنـون أن بعـد الليل نهار وبعد النهار ليل ، يقول الله تعالى :" كل مـن عليهـا فـان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام "

فلا مهرب منه ولاملاذ لأنك تهرب منه إليـه، يقـول الله تعـالى:" قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم "

وما ينبغي عليك التفكير فيه ما بعد الموت ولـيس المـوت نفسـه لأن التفكير في ذات الموت بحث فيما لاطائـل ولانتيجـة مرجـوة من ورائه وعائق من عوائق العمل والتحصيل وجالب للّهُمّ والغـم طارد للسعادة، فهو أجل محتوم ووقت معلوم ، يقـول الله تعـالى :" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون "

إن من يخاف من الموت ضعيف الإيمان أو معدومه بالكليـة فـإن مـن مقتضـيات الإيمـان بـالموت لدى المسـلم الإيمـان بالبعـث والنشور والحساب والسعادة أو الشـقاء فمـن آمـن بهـذا اطمـأن واستعد بعمل الصـالحات فصـلح وأصـلح مجتمعـه وعمـل الخـير لنفسه ولغيره، فلم يتحسر على مافاتـه أو حصـل له مـن ظلـم أو هظم لحقوقه فالمصيرإلى زوال يعقبه حساب.

بعد هذا العرض لو سألتني هل أنت مقتنع بالإسلام ؟ لقلت لك بكل صراحـة ومباشره ودون تـردد نعـم هـل تعـرف لمـاذا ؟ لأني أجـد فيـه الإجابـة لجميـع

التساؤلات التي تخطر على بالي ولا أجد فيه ما يصادم العقل والمنطق السليم كما أجد فيه الاستقرار النفسي والاطمئنان الروحي المتمثل في الإيمان بالله وفعل أوامره واجتناب نواهيه ، والترابط الاجتماعي وحفظ حقوقي وحقوق غيري والدعوة لمكارم الأخلاق ومحاسنها ونبذ سيء الأخلاق وسفاسفها التي حفظها لي الإسلام فهو بهذا حفظني وحفظ غيري وهذا كله يحقق لي السعادة التي ينشدها كل إنسان في هذا العالم ويسعى لتحصيلها ويبذل كل ما في وسعه لتحقيقها إسأل نفسك هل حقق لك معتقدك الذي تعتقده ما سبق ؟ إن لم يحقق لك كل هذا فهو معتقد باطل وإن حقق لك جزء من هذا فهو معتقد ناقص وما دام ناقص فالبحث عن البديل الكامل مطلوب فكل منا يبحث عن الأفضل.

هل تدري ماهو الدين الكامل ؟ إنه دين الإسلام وهاهو ماد ذراعيه لك يقول هلم إلي تجد جميع ما تصبوا إليه، قد تقول إنسان متعصب يدعو لدينه ومن حقك أن تقول هذا ! ولكن لو قلت لك لست أنا وحدي من يقول هذا بل قاله غيري من المفكرين المنصفين من غير المسلمين الذين ينظرون للأمور نظرة واقعية ويحكمون على الأشياء بتجرد مثل جاك . س . ريسلر (J. S. Restler)[٧] حيث يقول في مقدمة كتابه الحضارة العربية : ...إن اسم الإسلام يمكن أن يؤخذ على ثلاث معان مختلفة : المعنى الأول دين ، المعنى الثاني دولة ، والمعنى الثالث ثقافة ، وبالاختصار حضارة فريدة .

---

[٧] باحث فرنسي معاصر ، واستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس / من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل

بل شهد له من يناصبه العداء بأنه الدين الحق الكامل وقد قيل في المثل :والحق ما شهدت به الأعداء، يقول Margoliouth والذي عرف بتحامله على الإسلام وعدائه له ولكن عظمة القرآن لم تمنعه من قول الحقيقة فقال : [٨]إن مما اتفقت عليه كلمة الباحثين أن القرآن يحتل مكانة ممتازة في الصحف الدينية العظيمة ، بالرغم من أنه أحدث سناً في هذه الصحف - يعني آخرها نزولاً - التي صنعت التاريخ ، ولكنه يسبق الجميع في التأثير المثير للحيرة على الإنسان ، إنه أوجد فكراً إنسانياً جديداً ، وأرسى قواعد مدرسة أخلاقية متميزةأهـ

إذا لماذا تعاديه أو لنكن صرحاء لماذا لا تعتنقه ؟ ألانه يدعو لتوحيد الله ؟ أم لأنة يدعو لتعبيد الناس لله وليس للبشر؟ أم لأنه يدعو إلى مكارم الأخلاق ؟ أم لأنه يدعو إلى العدل ونبذ الظلم ؟ أم لأنه يضع الناس جميعاً سواسية أمام الله ؟ أم لأنه يضمن حقوق جميع البشر بغض النظر عن معتقداتهم وأجناسهم وألوانهم ...ألخ ؟

كلام قد يكون له الأثر في تحويل معتقدك فخلال ألأربعة عشر قرناً من الزمان الماضية منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا وهو في ازدياد وكل من قرأه بتمعن وبعيداً عن الأهواء الشخصية والتعصبات الدينية أقتنع به وإن لم يدخله على أقل تقدير لم يناصبه العداء مع كثرة الضغوط على أتباعه سواءً من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية – أنظر في واقعنا الآن - ومع ذلك فهم متمسكون به وبتعاليمه تريد ضرب مثل بسيط خذ على سبيل

---

[8]Rew. G. Margoliouth : In Introduction to th Koran .
By Rev. J.M. Rodwell. London 1918

المثال الإتحاد السوفييتي السابق عمل ما عمل من الاضطهاد للمسلمين على مدار سبعين سنة دمر مساجدهم وغير أسمائهم ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية وبعد سقوطه ظهرت دول من دول الإتحاد السوفييتي مسلمة وليس أفراد مما يدلل على أن جذوة الإسلام وإن خبت في الظاهر فإنها متقدة في الداخل ، فماذا يدل هذا عليه؟ ألا يدل على قناعات بأنه الدين الصحيح الذي وجدوا فيه سعادتهم وتعلقت به قلوبهم .

إن الإنسان المنصف الباحث عن الحق والحقيقة عندما يقرأ عن الإسلام لن يجد في تعاليمه إلا كل ما يدعو إلى الفضيلة ومكارم الإخلاق والنهي عن ضدهما إن كثراً من غير المسلمين الذين لم يجدوا فيما يعتنقون من ديانات ما يشفي غليلهم ويجلب السعادة لهم جربوا كل شيء إلا الإسلام ولست أدري لماذا لا يجرب فلعلهم يجدوا فيه بغيتهم ومطلبهم وما يحقق لهم السعادة، وبما أن القضية مصيرية فينبغي لها اتخاذ قرار جرئ مبني على التجرد التام من جميع المؤثرات على اتخاذ القرار فالموضوع لايحتمل الخطأ فهو إما أن يقودك إلى النعيم والسعادة الأبدية أو نعوذ بالله إلى الشقاء والعذاب الأبدي ، اسأل نفسك لماذا الإسلام وحده يعادى لماذا يحارب هو بالذات عن سائر الأديان وقديماً قيل الإنسان عدو ما يجهل فلا تكن جاهلاً بل تعلم وعلم لكي لايبقى بيننا جهال ، إنها البداية طوع نفسك على قبول الحق والاستماع للطرف الآخر وليكن استماعك له لتعرف الحق ، أكثر من دعاء الله أن يهديك الطريق الصحيح الموصل للدين الحق الذي يحقق لك السعادة الحقيقية فمتى علم الله منك الصدق لمعرفة الحق فلن يخذلك لأنه القائل :"

وقال ربكم ادعوني أستجب إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " غافر٦٠

لماذا كثير من العلماء والأدباء والمفكرين الغربيين من غير المسلمين لما قرأ عن الإسلام بتجرد دخلوا الإسلام واعتنقوه؟ أقول لك لماذا لأنهم عرفوا عظمة الإسلام بعد ما درسوه بأنفسهم ولم يبنوا حكمهم عليه من خلال أحكام مسبقة قررها غيرهم، ووجدوا فيه ضالتهم وما حقق لهم السعادة الروحية أمثال : ليوبولد فايس ، إيتان دينية، اللورد هبدلي ، رينيه جينو، الدكتور جرينييه وغيرهم كثير.

ومن هؤلاء المفكرين من قرأ عن الإسلام ولكنه بقي على دينه ولم تمنعه موضوعيته من قول الحق والإقرار بجمال الإسلام وكماله أمثال الدكتورة لورافيشيا فاغليري والدكتور زغرد هونكه والأديب جوته الألماني وتوماس كارليل وبودلي وتولوستوي ولامرتين شاعر فرنسا وبرنارد شو الذي قال : إن محمد يجب أن يدعى منقذ الإنسانية إنني أعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة . وغيرهم كثير.

ولكنها مشيئة الله وقدرته قال الله تعالى :" إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء "

وليست هذه الآية عذراً لأن يقال بسبق القدر على الإنسان بل لابد أن يسعى ويعمل ، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال:" ما منكم من أحد ما من نفس

منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة "قال: فقال رجل يا رسول الله: أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال:" من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال: اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ :" فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى" رواه مسلم

بل إن كثيراً من المستشرقين الذين درسوا الإسلام بهدف محاربته والقضاء عليه لم يتمالكوا أنفسهم أمام جماله ونقاءه وعقليته ومنطقيته وفطرته إلا أن يعتنقوه ، وتقول ديبورا بوتر (D . Potter) [٩] : ... الإسلام الذي هو قانون الله ، نجده واضحاً في الطبيعة من حولنا ، فبأمر الله وحده تسير الجبال والبحار والكواكب والنجوم وتهتدي في مساراتها ، فهي خاضعة لأمر الله خالقها كما تخضع الشخصيات في رواة من الروايات ولله المثل الأعلى ، فهي لاتنطق ولاتفعل إلامايقرره الكاتب ، وهكذا فكل ذرة في هذا الكون – حتى الجماد منه – هو أيضاً مسلم ، ولكن الإنسان مستثنى من هذه القاعدة فقد منحه الله حرية الاختيار فله أن يستسلم لأمر الله ، أو أن يضع قانونه لنفسه ويسير على دينه الذي يرتضيه ، وقد اختار مع الأسف الطريق الثاني في معظم الأحوال .... إن الناس في أوربا وأمريكا يقبلون على اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة لأنهم

[٩] ولدت عام ١٩٥٤م بمدينة ترافيرز في ولاية متشيقان الأمريكية ، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان ، من كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل

متعطشون للراحة النفسية والإطمئنان الروحي بل إن عـدداً مـن المستشرـقين والمبشرين من النصارى الذين بدأوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسـلام وإظهار عيوبه المزعومة ، أصبحوا هم أنفسهم مسلمين ، وما ذلك إلا لأن الحـق حجته دامغة لا سبيل إلى إنكارها .أهـ

فلنتفق أن جميع الأديان غير الإسلام والنصرانية قبل تحريفها واليهودية قبـل تحريفها وهي الديانات السماوية الثلاثة فيها كثـير ممـا يمجـه العقـل وتأبـاه الفطر السليمة ويرده الإنسان العادي فما بالك بالمثقف والعالم ، إن التـوراة ورسولها موسى عليه السلام هي أقدم الأديان ثـم جـاءت بعـدها النصرـانية ورسولها عيسى عليه السلام فعيسىـ صـلى الله عليـه وسـلم مكمـل لديـن موسى صلى الله عليه وسلم ومحمد صلى الله عليه وسلم مكمل لدين عيسىـ صلى الله عليه وسلم وبمحمد صلى الله عليه وسلم خـتم الأنبيـاء والرسـل عليهم صلواة الله وسلامه ، فبهذا يكون الإسلام ثمرة الأديان كلها وتمامها التي يجب على كل إنسان أن يجنيها ويأخذها.

شبهة عن الإسلام :

لاتقل لي لوكان الإسلام جيداً لتمسك به المسلمين أنفسهم قـد تقـول هـذا الكلام نتيجة تجربة شخصيه سيئة مع إثنين أو ثلاثة أو ألف ولكـن هـل خضت التجربة نفسها الـتي أعطتـك هـذا الانطبـاع مـع بقيـة المليـار ؟ حكمت على الإسلام من خلال حكمك على فئة قليلة، الإسـلام نظـام وكل نظام فيه من يطبقه لمعرفته بالنتـائج الحسـنة له وفيـه مـن يخالفـه ولكنـه سيلقى نتيجة مخالفته، أشارة المرور في المدينة مـثلاً نظـام وضـعت لتنظـيم السير والمحافظة على الأرواح فلو تجاوزها شخص أو إثنـين أو ثلاثـه فهـل

نحكم على أهل المدينة كلهم أنهم مخالفون للنظام وأن هذا النظام غير صالح ؟ كما أنه قد يسلم في المرة الأولى والثانية والثالثه ولكن سيأتي يوم يقع نتيجة مخالفتة للنظام بحصول حادث يفقد بسببه حياته أو على أقل تقدير يصاب ببعض الإصابات التي هو في غنى عنها لو إتبع النظام، فالإسلام كذلك هناك المسلم الملتزم بتعاليم الإسلام وهناك المسلم المقصر الذي إن سلم من العقاب الدنيوي لم يسلم من العقاب الأخروي ، وهذا ينطبق على كل ديانة وليس الإسلام وحده فالديانة اليهودية مثلاً هل جميع اليهود ملتزمين بتعاليم دينهم أم هناك المقصر؟ الديانة النصرانية هل جميع النصارى ملتزمين بتعاليم دينهم أم أن هناك المقصر؟ فلكل قاعدة شواذ كما قيل.

أعرف أن القرار صعب ولكنه يحتاج إلى شجاعة فاسأل الله العظيم أن يأخذ بيدك وأن يهدي قلبك وأن يدلك على طريق الحق ويفتح قلبك له مع صادق تمنياتي لك بالسعادة الحقيقية.